

اتفق فيه والحاد كما قال تعالى (ولا وضعوا خلافكم آئنته وفيكم ماعون لهم) فأخبر أن المناقبين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم لا خبالا وكانوا يسعون بينهم مسرعين يطالبون لهم الآئنة وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم إما لظن مخطئ أو نوع من الهوى أو اجتهادهم، فإن المؤمن كما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه

«ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات» وبحسب العقل الكامل عند حلول الشهوات وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به والضالون عبدوا الله بلا علم، ولهذا نزه الله نبيه عن الأمرين بقوله (والنجم اذا هوى) ماضل صاحبكم وماعوى) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو فصل الخطاب في هذا الباب

ترجمة الطيب محمد توفيق صدقي

نمي ابنا صديقنا الصفي الوفي الطيب النظامي محمد توفيق صدقي ، ونحن في دمشق الشام بمبدين عن إدارة المنار واشتغال عنها بأعمال المؤتمر السوري الذي اختارنا ارياسته هنالك فكتبنا المنار نبذة وجيزة في تأييده نشرت في الجزء الثامن منه ووعدنا بكتابة ترجمة مفصلة له . وبعد عودتنا الى مصر اطلعنا على ترجمة تارويحية له في العدد السادس من المجلة الطبية الذي صدر في شهر مايو سنة ١٩٢٠ فرأينا ان ننتهاها في المنار ثم تقضى عليها بما نعلم من ترجمة العلمية الاصلاحية وهذا نص ما نشر في المجلة الطبية

المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي

«نعمي اليوم الى أهل الادب والطب صواء رجلا من أندر الرجال وهالما من العلماء الذين قضوا حياتهم في مزج الطب بالعلم الشرعي وتطبيق المبادئ الاسلامية

على أصول العلم الحديث الا وهو المغفور له الدكتور محمد توفيق صدقي الطبيب
بجامعة السجون بالقاهرة . ولد المرحوم في ٢٤ شوال سنة ١٢٩٨ هـ جرية الموفق
١٦ سبتمبر سنة ١٨٨١ فلما بلغ أشده^{١)} دخل المكتب فاستظهر القرآن الكريم
وذلك هو السر في ميله الى الابحاث الدينية وتطبيقها على مبادئ العلوم المصرية
وفي انطلاق لسانه وجري قلمه، فمن حفظ القرآن، فقد وضع يده على أعنة البيان،
ثم دخل المدرسة الابتدائية ونال اجازتها سنة ١٨٩٦ ثم دخل المدارس الثانوية
ونال اجازتها عام ١٩٠٠ ثم دخل مدرسة الطب ونال اجازتها عام ١٩٠٤ وكان
منذ ما على اقرانه فاستحق أن تشكره وزارة المعارف على اجتهاده بمكتوب
خاص مؤرخ في ٢ يوليو سنة ١٩٠٤ فلما أن أتم دروسه وتخلص من عنا
الامتحانات انطلق كالجواد المصلي في ابحائه، موليا وجهه شطر ما شبهت به نفسه
وامتلا بحبه عقله وقلبه، وكان مجال الكتابة امامه فسيحا فكان يكتب تارة في
المجلات العلمية كالمنازل . وتارة في الجرائد السيارة كاللواء والشعب والعلم
وغيرها من أمهات الصحف اليومية، يضرب في كل مبحث يسهم صاحب حتى بلغ
ما كتب من المقالات والرسائل عددا كبيرا عدا المؤلفات الممتعة فمن مقالاته :
١ - تحريم الخنزير ونجاسة الكلب - ٢ مقالات الدين في نظر العقل الصحيح
- ٣ النسخ والمنسوخ - ٤ الاسلام هو القرآن وحده - ٥ تاريخ المصاحف
- ٦ كلمة في الرق في الاسلام - ٧ رسالة الخلاصة البرهانية على صحة الديانة
الاسلامية - ٨ ماء النيل ومضاره - ٩ الربا ورأي فيه - ١٠ الطلاق في
الاسلام - ١١ بحث في تعدد الزوجات - ١٢ المساديون والأهليون فلسفة
صحيحة - ١٣ الاصلاح الاسلامي في جملة مقالات - ١٤ القرآن والعلم - ١٥
خوارق العادات في الاسلام - ١٦ حجاب المرأة في الاسلام - ١٧ نظرة في
السموات والارض - ١٨ القرابين والضحايا في الاعياد - ١٩ سن الزواج
بالمقتيات . وكثير غيرها من المقالات الخاصة بالديانات . ومن كتبه كتاب ١ - دين الله
في كتب انبيائه - ٢ الجزء الاول والثاني من دروس سنن الكائنات لله

لمدرسة دار الدعوة والارشاد . وبالجملة فقد كان قدينا كاتباً متفتناً يمزج العلم بالدين في أكثر كتاباته .

«وأما ما نطلب فيه من الوظائف فإنه عقب ان نال اجازة الطب في عام ١٩٠٤ تعيين طبيباً بمسشفى قصر العيني ثم انتقل منه الى وظيفة طبيب في سجن طره في سنة ١٩٠٥ ورتي طبيب درجة أولى في سنة ١٩١١ وأنعم عليه بالنيشان المجيدي الخامس سنة ١٩١٣ ثم نقل الى سجن مصر ثم الى اصلاحية الاحداث عام ١٩١٤ ثم مرض بالتيفوس وكان مرضه شديد الوطأة عليه لم يمض الا اسبوعاً حتى فارق الحياة الدنيا منتقلاً الى جوار ربه في يوم الاربعاء ٢١ من شهر ابريل سنة ١٩٢٠ الموافق اليوم الثاني من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٨ . فرحمه الله وغفر ذنوبه ه ه

(المنار) اننا نستغفر الله تعالى كل يوم مرارا أي نسأله أن يغفر ذنوبنا ونعتقد أن كل بشر محتاج الى مغفرة الله تعالى وعقوه واننا على هذا الاستغفار والاعتقاد قد استغفرتنا من المجلة الدعاء لهذا المترجم بالمغفرة بعد الرحمة دون غيره ممن ذكرت خبر وفاتهم في هذا العدد من الاطباء وهم أربعة ختمت الكلام في تراجم الوجيزة بالدعاء لهم بالرحمة الواسعة، والدعاء بالمغفرة للمترجمين غير معهود في الجرائد والصحف فكان هذا وما ذكر قبله من التخصيص سبباً للاستغراب، والمتبادر لنا ان القلم جرى بهذا التخصيص بغير قصد فليس تعرّضاً بأن المترجم كان من المعروفين بارتكاب الذنوب بل هو معروف بالصالح والتقوى وممتاز بين الاطباء وغيرهم من أهل العصر بذلك.

سيرة الفقيه المامية والاصلاحية وشيء من سيرة توبه

الطيب عبد ابراهيم

لا يعنى المنار بترجمة احد من المومنين الا اذا كان في ترجمته عبرة في الاصلاح الديني أو الاجتماعي فهو لا يحمل بترجمة ارباب المناصب والمظاهر الدينية ولا الدنيوية اذا خلت من هذه العبرة ، وقد يهتم بسيرة من ليس له مظهر كبير اذا كانت مشتملة على ما يفيد انقراء منها . وصديقنا الطيب محمد توفيق صدقي لم يكن من أصحاب المناصب الدنيوية ولا من الحاملين المقبولين بل كان رحمه الله تعالى من طبقة الوسط التي هي خير الطبقات، وأهل الطبقة العليا في المناصب والمظاهر الدنيوية

يقول ان وعده فورا ، جل من أولي افضلية والاصلاح ، ونقل هؤلاء من ارتقى الى المصائب الالهية بسيرة اصلاحية كشيخنا الاستاذ الامام كان العقيد يقرأ المنار منذ كان تلميذا في المدرسة الخديوية وقراءة المنار هي التي بعثت ما في نظره من الاستعداد للبحث والنظر والاستدلال في العلم والدين كما كان يقول . وكان صديقه ورفيقه في المدرسة عبده ابراهيم على شكاكته في هذا الاستعداد ولكنه لم يوفق للكتابة تصنوه الروحي وتربه صاحب الترجمة فلم يكن له آثار تكون له ترجمة اصلاحية خاصة ولكنه كان مصلحا في آدابه واخلاقه ومنظرته وسيرته في أهله ووطنه . ومن البراهدين الاخوين الروحانيين ان تخرج سيرة أحدهما بسيرة لآخر:

كان أول ما كتبه محمد توفيق صدقي من المباحث الدينية العلمية مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) التي نشرت في المجلد الثامن من المنار (ص ٣٣٠ و ٤١٧ و ٦٩٣ و ١٣٢ و ٧٧١) وقد علقنا عليها بعد الانتهاء من نشرها هذه الجملة في (ص ٧٨٢ و ٧٨٣ م ٨):

(المنار) السبب في كتابة هذه المقالات هو أن كاتبها كان يجب البحث عن كل ما يعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب ولهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يمرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده أفندي ابراهيم عرفتها منذ سنين اذ كانا يرجعان اليينا في بعض مباحثهما ويمرضان علينا أم ما يشتهه عليهما كمسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لا يوجد في مصر من يطالب المعلوم الدينية لاجل الاقتناع والادعان ، والقدرة على الاقتناع والبيان ، الا هذان التلميذان ، وأحدهما مسلم والاخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعية فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى ان يتفقا على أن الحق فيها كذا . فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه في دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح - فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم ابراهيم الدين وحكمه ثبتنا الله وآياته - وهذه المقالات هي صورة اعتقادها الذي هداهما اليه

رهبما بعد اطاعة النظر والاستدلال عدة سنين. وأكثر ما فيها من المسائل في الألوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لا تقلد ابل قناعا بالنظر والاستدلال. ولا كتاب مسائل كثيرة هداه اليها البحث والتقيب ومراجعة كتب المسامين ولا فرنج لاسبا في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالته في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط ان يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وما هو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لان مقام مقام تأييد الاعتقاد وهو لا يكون بأخبار الآحاد، ولا بتقليد الآباء والاجداد

وكاني ببعض الشيوخ المنادين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أو وافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كما سأله ابن السبيل ومسألة التسخن فالهين اللين منهم بمذرة والحمد المتعصب يفاظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين، وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام، وإن تقابلتم انقصر عن ذلك، ولو راجعهم في شبهاتهم لما رجع الا للوجود والاحاد، ومن بضل الله فانه من هاد، اه ما نشرناه يومئذ في المنار (سنة ١٣٢٣)

هذا ما نشر في المنار من مبدأ سيرة هذين الفرقيدين منذ ١٥ حولا وانني أزيده ايضا كما علمته منهما في ذلك العهد

كان كل منهما قد عرض له الشك في دينه فلم يكونا موقنين ولا مكذبين، والشك هو الذي حملها على البحث والنظر على قاعدة اني حامد الغزالي: من لم يشك لم ينظر الخ ولكن ما كل من يشك ويبحث وينظر، وما كل من يبحث وينظر يجد ويخلص وينبت حتى يعلم ويؤمن، وانما ذلك شان أصحاب الفطر السليمة، والانفس الكريمة، وما أكثر من كان حول هذين التلميذين في مدرسة الطب من التلاميذ الشاكين الراضين بشكهم وحينهم التاركين للنظر والاستدلال حتى انتهى بهم ذلك الى التعطيل والاحاد. ويحسبون أنهم في ذلك على علم، وانما هم في غمرة من الجهل

بدأ ذلك التلميذان الفاضلان بحثهما فيما عرض لهما من الشبهات على اصول الدين المطابق للألوهية وهي - الألوهية والرسالة والبعث - ثم جملا من وفهمها مواعيد معينة للبحث في كل أصل من هذه الاصول فبدأ في مسألة وجود الخالق وتوحيده

وصفاته وكاننا براجعان في ذلك بعض كتب الكلام وبعض مباحثه في غير كتبه الخاصة كتفسير الرازي وبرجمان الى كاتب هذه الترجمة و (صاحب المنار) فيما يشكل عليهما فهمه او تستعصي شبيبته فانهى مهما البحث والنظر الى الايمان اليقيني بوجود الله تعالى ووحدانيته وانصافه بصفات الكمال وتزهه عن كل نقص . ثم شرعا في النظر والاستدلال على بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فرسالة خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكون القرآن كلام الله تعالى وعلى البحث والجزاء ثبتت عندها كل ما ذكر في زمن طويل

وما اتذكره من شبهاتهما وشذوذهما في اثناء البحث في مسألة الروح والبحث أُنهما كانا قبل أن اقدمتهما بوجود ارواح للبشر مستقلة في وجودها قد اقتنعا بعقيدة البعث الجسدي فكان هذان أغرب ما عرض لهما من الشذوذ

وبعد ان صح ايمانها نظرا واستدلالا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بقي لهما شبهات مشككة في بعض آيات القرآن مخالفة بعض المباحث العلمية والتاريخية لها فزالت بالتدرج . واذكر أن المرحوم عبده ابراهيم جاء في مرة وجلس الي في مكتبي ثم أخرج المصحف الشريف من جيبه وقال لي انني مستشكل في آيات معدودات وضعت عليها علامات واسكن استشكلالي فيها علمي غير مشكك لي في كون القرآن كلام الله تعالى فاحسبت عرضها عليك رجاء إزالة الاشكال . ثم طفق يتلوها علي وكلما تلا آية عرفت وجه استشكلها اياها ففسرتها له بما يزيل اشكاله ويقنعه ، حتى اذا ما انما قال بصوت مؤثر منبعث من اعماق قلبه

﴿ اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد ارسول الله ﴾

واخبرني انه غير عازم على اثبات اسلامه في المحكمة الشرعية ، لانه مؤمن مسلم بالله لا لاجل شيء من المعاملات الدنيوية ، ثم كان يجبرني بامتصاص والديه وذوي القرني من اسلامه ومناشدتهم اياه ان يظل كما ناله عن الناس ، وبقي ذلك عدة سنين وكان بعد ان صار طيبا موطنا يفيض على والديه وأهل بيته من راتبه وبواسيهم ويحسن من معاملتهم فوق ما يحسنون من معاملته ، وانه كان يقول لوالديه ان الله تعالى امرني في القرآن بان اصاحبكم بالمعروف ولا اطيعكم في امر الدين بقوله (وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) ثم انه بعد ذلك أظهر اسلامه وتزوج فتاة مسلمة ورزق منها اولادا كان يحسن تربيتهم وتعليمهم

وقد شرع بعد اطمئنا به بالاسلام في حفظ القرآن ومطالبة نفسه بالعمل به والتخلق باخلاقه وآدابه ، ولم أر من احد من اصدقائي ولا من تلاميذي ولا غيرهم مثله في ذلك . وقد جاء في مرة متلما شاكيا من نفسه فقال اني مؤمن ايمانا يقينيا ليس فيه زلزال ولا اضطراب ولكنني اقرأ صفات المؤمنين في القرآن فلا اراني متصفا بها كلها فكيف

يوجد الشيء، وتتخلف عنه آثاره؟ انني لفي حيرة وغم من التفكير في هذا الامر وأرجو ان اجد عندك ما تزول به هذه الحيرة . فاجبته جوابا مفصلا ارضاه وكشف غمته، خلاصته ان ما يتبع الايمان من صفات الكمال لا يحصل كله دفعة عقب الاسلام وانما ينطبع الكثير منها في النفس بالعمل الذي شرعه الاسلام من العبادات والآداب والمعاملات (قلت له) فطالب نفسك بذلك ترب عليه تربية اسلامية جديدة بساعدك عليها ما وهبك الله من سلامة الفطرة وحسن النية

هذا وان هذين الرجلين كانا يعملان بما يعلمان من احكام الاسلام وفضائله، وقد شرعا بعد الفراغ من مباحث العقائد بحثان في الاحكام العملية بما اجرى عليه من الاستقلال في الاستدلال، ويرجعان الي فيما يمرض لهما من اشكال، واذ كر من ذلك انهما فهما من آية الوضوء في سورة المائدة أنه واجب لكل صلاة فكانا يتوضآن لكل صلاة على ما في ذلك من المشقة الى ان اقتنعتما بان ذلك غير واجب وان المتوضي يصلي بوضوءه ما لم ينتقض بالحدث . وكنت احيانا احيلهما في بعض المسائل على مراجعة بعض الكتب فاقنيتا كثيرا من الكتب الدينية وكان المترجم اكثرها اقتناء للكتب ومطالعة لها ومراجعة فيها، حتى انه اشترى مسند الامام احمد وناهيك بصعوبة المراجعة فيه على غير المحدث

﴿ مقالات صاحب الترجمة وكتبه والرد عليه ﴾

مسألة أبوة آدم للبشر

أول ما كتبه صاحب الترجمة في أصول الدين باستقلاله الذي مرن عليه مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) كما قلنا آنفا وكنت اصحح له العبارة وأراجعه فيما أخطأ به من المسائل فيصحح ما اقتنع به دون غيره، وقد انكر غير واحد عليه في هذه المقالات ما ذهب اليه من القول بان آدم ليس ابا لجميع البشر وقد قال ذلك في رد شبهة مذهب (داروين) في أصول الانواع، وكونه غير مناف لاصل قطعي في الاسلام

وهذه المسألة كان الاستاذ الامام قد قررها في تفسير أول سورة النساء في الجامع - الازهر ولكن لم تكن نشرت في المنار عند ما كتب صاحب الترجمة ما كتبه فيها ولا أذكر الآن أنه سمعها منه ولكن يغلب على ظني اني ذكرتها له بعد ان كتب ما كتبه ولا أذكر تفصيلا في ذلك وانما أعلم اني كنت أبحث معه في بعض المسائل غير المنقحة وتقدم ذكر ذلك

لما راجعنا قراء المنار في نخطته في هذه المسألة قولاً وكتابةً أجبتهم في باب الاعتقاد هل المنار (ص ٩٢٠ م ٨) من وجهين أحدهما انه ليس من شأن أصحاب الصحف ان يقرنوا

رأيهم بكل ما ينشرونه لغيرهم وثانيهما ان الكاتب ذكر ما ذكره في المسألة على تقدير ثبوت مذهب دارون ثبوتاً قطعياً وهو غير ثابت عنده الآن بل هو يقول انه نظريات ثلثية وانه اذا ثبت لا ينتقض شيئاً من نصوص القرآن بل يمكن ان يؤخذ من القرآن ما يوافقها ،

ثم كتبنا نبذة أخرى في باب الانقباد على المنار (ص ٩٤٧ م ٨) أجبنا فيها عما كتبه بعض المتقدمين في الرد على صاحب الترجمة بقوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) وبمض الاحاديث ، وتلنا في آخر هذا الجواب ما نصه : « ولا تنس اننا نؤمن بأن آدم خلق من التراب كما ورد بلا تأويل ، وانما التأويل لا لزوم المقترض على الدين ، أو اقناع المرتابين »

ثم ان صاحب الترجمة كتب في المجلد الرابع عشر من المنار مقالا عنوانه (كيف خلق الانسان) بمد مقالات نشرها في بعض الصحف اليومية رد فيها على مذهب دارون رداً شديداً قال فيه انه أورد عليه في بعض تلك المقالات « احتمالات تقوض أهم أركانه ، وتلك أكبر أسس برهانه ، حتى ان كبراً من أعظم أنصاره في الشرق لم يقدر على الرد علينا — يعني الدكتور شبلي شميل — (قال) وقد سألتني بعض الاخوان قائلاً اذا كنت تشك في صحة مذهب دارون فكيف تفسر لنا علمياً خلق الانسان من طين » ثم مررت تلك الاحتمالات واتبعها بجواب هذا السؤال (راجع مقاله في ص ٣٠٣ م ١٤) (استطراد وجيز) صرحنا غير مرة في المنار بأن مذهبنا في العقائد وأصول الدين وكذا فروعه هو مذهب جمهور السلف الصالح وان ما ذكره أو نشره لنا أولغيرنا من تفسير أو تأويل مخالف لمذهب السلف ففرضنا منه إما دفع شبهة عن الدين ، وإما تقريب مسألة من مسائله لمقول بعض المرتابين ، لان من يخالف مذهب السلف في بعض المسائل غير القطعية المعلومة من الدين بالضرورة عن اجتهاد وتأويل لا يهد مرتداً ولا متبهما غير سبيل المؤمنين من بعد ما تبين له الحق ، وقد نشرنا في هوى الكلام الالهي وكون القرآن بعبارة منه التي يراها القارئ قبل هذه الترجمة كلاماً نفيساً في عذر من أخطأ من العلماء التأولين بحسن النية وقصد خدمة الدين لشيخ الاسلام ابن تيمية (جزاه الله عن هذه الامة خيراً) لم يزل احد من العلماء الاعلام مثله

في تحفته وحسنه ، ونحن نعتقد أن الأستاذ الامام والطبيب محمد توفيق صدقي من طبقة أولئك العلماء الذين كانوا ينهرون الاسلام، ويدافعون عنه بمتهى الاخلاص، ويحرصون على اثبات دعوته ، واقناع المنكرين عليه بحقته، ويردون الشبه عنه تارة بالدليل ، وأخرى بالتأويل المعقول ، وانهم ممن يشملهم الحديث الصحيح الذي يثبت لمن اجتهد فأخطأ أجر الاجتهاد ، ولن اجتهد فأصاب أجر الاجتهاد وأجر اصابة الحق، لانه غير خاص بالاجتهاد المطلق الذي له مذهب خاص في جميع مسائل الخلاف ونقول فيما ما أرشدنا شيخ الاسلام الى أن قوله في مثل الشيخ الاشعري والقاضي الباقلاني وغيرهم من العلماء المتخلصين رها منهم على ما بينهما من التفاوت في العلم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) ونسأل الله تعالى ان يجعلنا من المجتهدين المثابرين ، ويحشرنا في زميرهم يوم الدين

ويذكر القراء أيضا ان بعض الازهريين قد نسبوا الينا منذستين مسألة انكار كون آدم آبا لجميع البشر وكفرونا بذلك في مقالات نشروها في الجرائد ولم يشركوا معنا في هذا الانكار والتكفير الأستاذ الامام ولا الطبيب محمد توفيق صدقي رحمهما الله تعالى فدل ذلك على انهم قالوا على ما قالوه اتباعا للهوى غفر الله لنا ولهم

مسألة الاسلام هو القرآن وحده

أ كبر شذوذ وقع المترجم رحمه الله تعالى وحاول اثباته والدفاع عنه هو ما عرض له من الشبهة على كون السنة ليست من أصول الدين والاعتناق مدة من الزمن بأن الاسلام هو القرآن وحده فن عمل به كان مسلما ولا يحتاج الى معرفة السنة لانها كانت شريعة مؤقتة. ولما عرض له ذلك واقنع به هو وصديقه الطبيب عبده ابراهيم (عفا الله عنهما) جاءني كهاتهما وعرضاه علي وانبرى صاحب الترجمة ليبان ما قام عنده من الادلة عليه فأوردت عليه اعتراضات كان يشتغل بالبحث فيها زمنا . وانني كنت أعلم أن هذا الرأي كان عرض لغيره من الباحثين المستقلين القليلي البضاعة في علم أصول الاسلام وانه رأي منتشر في كثير من الامصار التي يسكنها المسلمون، وأعلم ايضا ان كثيرا من المباحث الكبيرة التي تختلف فيها الانظار لا تدهص الا بالكتابة والمناظرة فلهذين السببين

وتم توفير الوقت علي في تمحيص المسألة لصاحب الترجمة وصديقه بالمشافهة اقترحت عليه أن يكتب إليه هذا لينشر في النار، ويعرض على علماء مصر وسائر الاقطار؛ وبينت له مافي الكتابة من خروج المسائل العلمية من حيز الاجمال الى حيز التفصيل، فكتب مقال (الاسلام هو القرآن وحده) ونشرناه في المجلد التاسع من النار (ص ٥١٥-٥٢٤) وعلقنا عليه تعليقا وجيزا اشرفنا فيه الى سبق بعض الباحثين له فيه والى ما سبق من مذاكراتي فيه معه ومع تزيبه وقرينه الطيب عبده ابراهيم، والى المراد بكتابه من عرضه على العلماء والباحثين، ثم قلنا «فنحن ندعو علماء الازهر وغيرهم الى بيان الحق في هذه المسألة بالدلائل، ودفع ما عرض دونه من الشبهات، فان المحافظة على الدين في هذه العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلسفة اليونانية، او شذوذ الفرق الاسلامية التي انقرضت مذاهبها، وانما تكون باقتناع المتعلمين من أعده بحقيقة الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة، واهونها ما يعرض للمعتدين المستمسكين ككتاب هذه المقالة فاني اعرفه سليم العقيدة مؤمنا بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين، مؤديا للفريضة، وانما كان إقناع مثله اهون على علماء الدين لانه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره الى اقامه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي» اه المراد من التعليق، وقد كتب هو ايضا في اواخر المقالة «فهذه افكاري في هذه المواضيع اعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وارجو من يعتقد اني في ضلال ان يرشدني الى الحق والا كان عند الله آثما»

رد الشيخ طه البشري على الدكتور

أول من تصدى للرد على هذه المقالة الشيخ طه البشري من علماء الازهر وهو نجل المرحوم الشيخ سليم البشري الذي كان شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد العلمية الدينية بمصر في ذلك العهد. فكتب في ذلك مقالا عنوانه (اصول الاسلام: الكتاب، السنة، الاجماع، القياس) نشر في المجلد التاسع نفسه (من ص ٦٩٩ - ٧١١) ومقالاته (الدين والمقل) نشر في (ص ٢٧١ - ٢٨١ م ٩) ورد صاحب الترجمة على هذا الرد في رسالة عنوانها (الاسلام هو القرآن وحده - رد الرد) نشرت في ذلك المجلد نفسه (من ٩٠٦ - ٩٢٥) وعلقنا عليها تعليقا عنوانه

في رؤس الصحائف (الاسلام هو القرآن والسنة) (من ص ٩٢٥ - ٩٣٠) فكان هذا التعليق مينا له الخطأ لا كبر الذي وتم فيه وحاملا له على الرجوع عنه فكتب فولة مختصرة عنوانها (اصول الاسلام - كلمة انصاف واعتراف) نشرت في (ص ١٤٠) من المجلد العاشر صرح فيها بأنه ارتكب الشطط وان الصواب ظاهر له مما كتبه استاذاه صاحب المنار ثم قال « فانا اعترف بخطأي هذا على رؤس الاشهاد واستغفر الله مما قلته أو كتبت في ذلك وأسأله الصيانة عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى . واصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بمد طول التفكير والتدبر هو: أن الاسلام هو القرآن وما اجمع عليه السلف والخلف من المسلمين عملا واعتقادا انه دين واجب، وبعبارة اخرى ان اصلي الاسلام للذين عليهما نبي هما الكتاب والسنة النبوية بمعناها عند السلف اي طريقته صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين » وأسئني من ذلك السنن القولية غير المجمع عليها وما كان له علاقة شديدة بالاحوال الدنيوية (أي التي فوضها النبي (ص) الى الناس) وعدم منها بعض الحدود ومقادير زكاة المال والفطر والاصناف التي تؤخذ منها ولكن بعض ما استثناه مجمع عليه وهو انما ينكر كونه من اصول الدين التغطية لا كونه منه مطلقا ثم جاء رد مطول مفصل على مقالة (الاسلام هو القرآن وحده) بقلم الشيخ صالح الياقبي من علماء العرب المقيمين في (حيدرآباد الدكن) في الهند موضوعه (السنن والآحاديث النبوية) نشر في المجلد الحادي عشر من المنار (ص ١٤١ و ٢١٤ و ٣٧١ و ٤٥٤ و ٥٢١) فرد المترجم على مباحث منه في ٣ مقالات عنوانها (كلمات في التواتر والنسخ وأخبار الآحاد والسنة) نشرت في هذا المجلد (راجع م ١١ ص ٥٩٤ و ٦٨٨ و ٧٧١)

ثم رد الاستاذ الياقبي على هذا الرد في مقالات نشرت في المجلد الثاني عشر (م ١٢ ص ١٢٥ و ٢٠١ و ٢٨٩ و ٣٧١ و ٤٤١ و ٥٢١) وقال في خاتمة هذا الرد عبارة تغل على اهتمام العلماء في الهند بهذه المناظرة وطلب منا الحكم فيها فقال: « هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بغاية الاختصار وأنا أرجو حضرة شيخ الاسلام ان يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثيرون

قراء المنار، ومن ينظره بعين الاعتبار، وألمس من حضرته ان يصلح ما فيه الخطأ ولزال لاني كتبه بسجلة بعد ان كنت أردت الاعراض عن الجواب، ولكن ارضاء لله ورسوله (ص) ثم للاخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك ارتجالاً وألمس من شيخ الاسلام ان يذكر ملخص رأيه. وكذلك ألمس من علماء الاسلام حفظهم الله وأيد بهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتمخطة فان الزمان كما ترون أهله أول ما يبادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات،

وانا اجابة للدعوة كتبنا مقالا في ذلك عنوانه (النسخ وأخبار الآحاد) نشر في (ص ٦٩٣ - ٦٩٩) من ذلك المجلد (١٢) وبه انتهت هذه المناظرة الطويلة التي شملت عدة أجزاء من أربعة مجلدات من المنار في أربع سنين، ثم أوضحنا مسألة السنة وافادة بعض أخبار الآحاد اليقين الشرعي القوي وحررنا معنى اليقين والظن في المنار بما لم نطلع على مثله لاحد والله الحمد

وتقول ان هذه المناظرة الطويلة كانت سببا لاشتغال كثير من قرائها بعلم السنة وأصول الدين، وقد سرى ذلك منهم الى غيرهم فصار للسنة من الانصار في مصر وغيرها ما لم يكن لها من قبل، ولا يزال عددهم في تمام وازدياد والله الحمد

رد صاحب الترجمة على المبشرين

أشرنا في أول هذه الترجمة الى ان دعاة النصرانية كانوا أحد الاسباب الباعثة للمترجم الى البحث في الدين. الذي انتهى به الى الانتقال من الشك الى اليقين، ثم الى الدفاع عن الاسلام - كما انتهى هذا البحث بتعبه الدكتور عبده ابراهيم الى الاسلام البرهاني الادعائي، والصالح والاصلاح النفسي والاجتماعي - وقد كان أهم ما كتبه المترجم بقصد الدفاع عن الاسلام الرد على أولئك الدعاة الذي حضرته اليه مناظرته معهم واطلاعه على كتبهم، وقد استعد لذلك بقراءة كثير من الكتب الانكليزية الطائفة العقليين من الافرنج والملاحدة الذين ردوا على النصرانية. ومقالات العقيد في الرد على المبشرين لا يعني عنها أكبر الكتب المصنفة في الرد عليهم ككتاب اظهار الحق، وقد جرد بعضها من المنار وطبع في كتب مستقلة وأقواها وأوسها ما نشر في المجلدين الخامس عشر والسادس عشر من المنار كقالة (القرابين

والضحايا في الاسلام) ومقالة (الدين كله من القرآن) ومقالات (بشائر عيسى
ومحمد في المهدين) وتراجع في ص ٢٨١ و٣٥٢ و٤٢٧ و٤٩٤ و٥٨٦ و٦٥١ و٧٤٥
م ١٥ رسالة (نظريتي في قصة صلب المسيح وقيامته) وتراجع في ١١٣ و١٩٣ —
٢١٦ م ١٦ و(نظرة في كتب المهدين وعقائد النصرانية) في المجلد السادس عشر أيضا.
وقد هاجت بعض مقالات هذا الرسالة المبشرين فوصلوا الى لورد كنشور بأن يوعز
الى الحكومة المصرية بانفاء المنار ومنع صدوره متعا أبديا وبمحاكمة منشئه والدكتور
محمد توفيق صدقي وقد كلفني في ذلك النائب العمومي في ذلك العهد عبد الخالق ثروت باشا
وعهد الي بأن أقبل رئيس الوزراء (محمد سعيد باشا) أنا وصاحب الترجمة قبايلناه وكلمنا
في المسألة ونهى المترجم أن يعود الى كتابة مثل تلك المقالة المستنكرة في شدة طعننا
وكلمنا في وجوب تخفيف لهجة المنار في الرد كما يراه القارى في آخر المجلد السادس
عشر (ص ٩٥٨)

ولما أنشأنا مدرسة دار الدعوة والارشاد عهدنا الى صاحب الترجمة باقائه دروس
سنن الكائنات وحفظ الصحة فيها منتقدين انه لا يوجد في مصر طبيب ولا عالم
عصري يقدر على أداء هذه الدروس بشرط برنامج المدرسة غيره فقام بالامر خير
قيام وتفتح هو ما كتبه بعض طلبة المدرسة من تلك الدروس ونشرت في المنار ثم طبع
بعضها في جزئين

وجملة القول ان الطيب محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى كان ركنا من أركان
العلم والاصلاح في مصر ولم نجد صديقا لنا ولا تلميذا في مصر ولا غيرها خدم المنار
وكان له مساعدة ثمينة في تحرير مغيره . وقد كان محسنا شكورا يذكر دائما منة المنار
وصاحبه عليه . ونحن نعتز بأن مته علينا أكبر فقد كان فوق اخلاصه في صداقته
ومساعدته القلمية للمنار طيب بيتنا وفضله كبير على أولادنا فرحمه الله تعالى وجزاه
أفضل الجزاء عنا وعن نفسه ودينه وأمه